

اسباب الاخلال البريطاني

(٩)

ذكرنا في الفصل السابق ان الخديوي اضطر اضطراراً ان يرده عرابي الى نظارة الحرب خوفاً منه وان الحكومة الانكليزية رأته حيثئذ انها لا تستطيع التغلب على عرابي الا بالقوة وذكر لورد كرومر نقلاً عن المحررات الرسمية ان اهالي القطر عدوا رجوع عرابي الى نظارة الحرب فوزاً لم ودليلاً على قرب طرد الاجانب كلهم من البلاد واسترجاعهم لاطيانتهم التي اشتراها منهم الاوروبيون او ارتبونها وانقاذ ديون الحكومة وهاجر كثيرون من المسيحيين وطلب الانكليز نزلاء الاسكندرية من حكومتهم ان تبادر الى حمايتهم وارسل السير تشارلس كوكسن يقول ان كل يوم تتأخر فيه انكلترا يزيد عنفوان الجنود وهبهم بالنظام . وجعل القباط يكرهون الاهالي على ختم عريضة يطالبون بها خلع الخديوي وطلب رئيس المجلس من النواب ان يعودوا الى بيرتهم لكي لا يجيروا على امضاء تلك العريضة ووقفت اشغال الحكومة كلها الا في نظارة الحرب واستولى الذعر على البلاد كلها . وارسل السير ادورد ملت الى حكومتهم يقول انه يخشى في كل ساعة من حدوث ثورة على المسيحيين . وثبت حيثئذ ان الحكومة المصرية لم تعد قادرة على حماية المصالح المالية الاوربية وان السلطة سارت في يد الحزب العسكري وانه لا بد من المداخلة الاجنبية

وكانت الدولة العلية تمتد منذ عهد طويل ارجاع القطر المصري اليها وقد ملأت دواوين اوروبا بالاحتجاج تلو الاحتجاج على مداخلة الاوربيين في الشؤون المصرية وعلى اغتنام سلطة الباب العالي في مصر فالت الفرصة حيثئذ لتبديد الدولة سلطتها فان الخديوي وانكلترا وفرنسا حاولوا اصلاح الحال من غير الالتجاء اليها ففشلوا وكانت الدول الاوربية كلها ما خلا فرنسا تود الالتجاء اليها لاختاد الثورة المصرية

ولكن رجال الحكومة العثمانية لا يعشرون الفرص حالماً تسخ لم يل بعضهم العقاب بايديهم في سيلهم . وكانت فرنسا قد عدلت عن اعتراضها على مداخلة الباب العالي وطلبت ان تحمل المسألة المصرية بواسطة مؤتمر دولي والباب العالي يكره الالتجاء الى المؤتمرات فارسل مأموراً سابقاً الى مصر وهو درويش باشا حاسباً انه يسكن الانطراب ويرد المياه الى بحارها فلا يبقى دافع للتأخر وارسل مع درويش باشا اسمد افندي . وفرض على الاول منهما ان يجامن الخديوي ويضاد عرابي وعلى الثاني ان يفعل على الضد من ذلك فيجاسن

عراي ويقاد الخديوي وأمر كل منهما ان يخاطب الاساتنة رأساً لكي لا يفتقا على شيء .
 وأمر درويش باشا ان يثبث فواصل المانيا والنمسا واطاليا ويستعين بهم وأمر احمد افندي
 ان يبدل جهده في احباط دسائس الاوربيين . وأمر درويش باشا ايضاً ان يتبض على
 عراقه ورواسه حزيبه ويرسلهم الى الاساتنة ويطلب مجلس الترتيب ويقتل نفوذ الخديوي
 ويزيد نفوذ السلطان ويطلب الجنود من الاساتنة اذا رأى موجياً لذلك . وأمر احمد
 افندي ان يشكر وجوه القطر واعياناً على اخلاصهم للعدّة السلطانية وان يؤكد لهم ان
 السلطان لا يتوي تليلن السلطة المعطاة للخديوي بالمرمات وان ارسال الجنود الى مصر
 رأي سيء وخيم

وكان الباب العالي يكره ارسال جنود الى مصر لمحاربة الجنود المصرية ويود ان يقنع
 المصريين انه يحميهم من اعتداء الاوربيين

وجاء وفد من العلماء الى درويش باشا في ١٠ يونيو وقام واحد منهم خطيباً وجعل
 يمدح الجيش لانه حفظ البلاد من طمع الكفار . فنهض درويش باشا وقال لعضو انه انى
 ليأمر بما يراه لازماً لا ليؤمر وامسك رجل من حاشيته بذلك العالم واخرجه من مجلسه
 وظهر حينئذ كان السلطة مستخرج من يد الجيش ولكن حدث حادث ثبت منه انه لا
 يمكن حفظ البلاد من غير الاتجاه الى الجيش

كان اهالي الاسكندرية قد اظهروا العداء للاوربيين وجعلوا يهينونهم ويصفون عليهم في
 الشوارع . وحذر رجل من الاهالي احد اليونانيين في ٩ يونيو قائلاً ان اولاد العرب عازمون
 على ذبح النصارى . وجال بعض الرعاع في الشوارع في اليوم التالي وهم يتادون " آخونكم
 يا نصارى " . وفي الحادي عشر من يونيو حدثت المناجح في ثلاثة اماكن في وقت واحد .
 وقد اتهم البعض عراقى بانه امر جهنم المذابح واتهم غيرهم الخديوي وفي جملة الذين اتهموه
 بذلك المستر بلنت . وقال لورد كرومر ان الذين بحثوا البحث المدفق في هذه المسألة
 لم يحدوا اقل دليل على انه كان للخديوي يد فيها ومن رأي السرادورد ملك ان عراقى لم
 يأمر بها وانها جاءت من نفسها كنتيجة للاضطراب الذي كان مشوباً حينئذ وايد
 لورد كرومر رأيه ولكنه لم يبرئ عراقى وانصاره من المسؤولية الادبية لانهم هم الذين اثاروا
 البغض للجانب في نفوس رعاع الاهالي

وفي ١٣ يونيو ارسل السرادورد ملك الى لورد غرانفل ان ساعى درويش باشا
 اخفقت فاضطر ان يسلم بقوة عراقى وان يحمل معه مسؤولية اجراء اوامر الخديوي . ثم

وزَّع النباشين على حزب عراقي وعلى حزب الخديوي على السواء لكن هيئة سقطت ولم يزره احد من ضباط الجيش . وفي ذلك الوقت نفسه اخبر المايين لورد دفرن ان عراقي خضع خضوعاً تاماً وان الامن عاد الى نصابه واخبر ميوزورس بنشالورد غرانفل ان السلطان انعم على عراقي بالنشان المجيدي الاول وان عراقي احرب عن شكره وولائه للسلطنة فلم يبق وجه لانتقال الببال

ويظهر عدم خضوع عراقي من انه اشار على درويش باشا في ٥ يوليو بالخروج من القطر المصري . وقال له اسعد اتندي في ٨ يوليو ان السلطان يدعوه للذهاب الى الامتانة فابي اجابة الدعوة واخيراً اعترف وزير الخارجية العثمانية للورد دفرن ان عراقي جاهر بالعصيان وثبت حيثئذ ان لا بد من عمن يئمن والأشملت الثورة البلاد كلها وقد بلغ عدد المهاجرين من القطر المصري في ١٧ يونيو ١٤٠٠ وبقي ٦٠٠٠ ينتظرون السفن ليخرجوا بها من القطر . وفي ٢٦ يونيو قتل الرطاع عشرة من اليونان وثلاثة من اليهود في بنها واثار عراقي باستنفاذ اموال كل الاوربيين الذين يقادرون القطر المصري - ومرض السراودرد ملت حيثئذ وانظر ان ينادر القطر وهو بظن ان السم دس له قصد تنفير

وتتبع من مذبحه الاسكندرية ان اسرعت الدول الاوربية الى تلاقي الخطب فقال المسبودة فرسينه ان عهد المؤتمر صار ضربة لازب فلا بد من عقده من غير ابطاء وعرضت فرنسا وانكلترا على الدول ان يساعديهما في اقتناع السلطان بان يرسل جنوداً الى مصر تساعد الخديوي على حفظ سلطته بشرط ان لا يتعرض لتعقوب المتوحه للخديوي بالقرمانات السلطانية ولا للمعاهدات الدولية الخاضعة ولا تقيم الجنود النمساوية في القطر المصري أكثر من شهر الا اذا طلب الخديوي ذلك وصادقت الدول الاوربية اعطى على طلبه . والحكومة المصرية لتتمثل تقفات هولاء الجنود . واخيراً قرء القرار على عقد مؤتمر دولي للاتفاق على ما يجب عمله فنقد المؤتمر في الامتانة ولم يحضره مستند من قبل الدولة العلية

وبينما كان المؤتمر يبحث في كيفية ارسال الجنود النمساوية الى القطر المصري كانت احوال القطر صائرة من ردي والى اوداً وثبت للبلاد ان الحكومة كلها صارت في يد عراقي حتى قال بسجارك ان عراقي صار قوة يجب ان يحسب حسابها " *avec lequel il fallait compter* " وقال المسبودة فرسينه انه يمكن اصلاح الحال بالاتفاق مع عراقي لكن انكلترا اجابته قائلة انه لا يمكن اصلاح الحال ما لم يستعذ عراقي والحرب العسكري

واسند الخديوي رئاسة النظار الى راعب باشا وجعل عراقي ناظرًا للقرية وكان ذلك

بشورة فتصلي ألمانيا والنمسا فلم يفلح راجب باشا في تسكين ثورة الحرب المكري درد النظام الى البلاد

وكانت الحكومة الانكليزية والامة الانكليزية قد رأتا ان المساعي السياسية لا تجدي نفعا وانما لا يمكن اخاد الثورة الا بالقوة . وقد بلغ نظارة البحرية من اوائل يونيو ان عرابي اخذ في تحصين طوابي الاسكندرية ووضع المدافع فيها في وجه العارة الانكليزية وقد امر السلطان بنزع هذا التحصين وعمل بامر مدته ثم أعيد التحصين وزيد عدد الحامية . واجتمع مجلس النظاري في ٤ يوليو وتكلم فيه عرابي وحمل حملة منكرة على السلطان وامر ضباط الجيش ان ينقضوا من زيارة درويش باشا وقيل لدرويش باشا ان مهتة قد انقضت

وأمر لورد السترايمر العارة الانكليزية ان يتبع الاستمرار على تحصين الاسكندرية واذا لم يتبع فعلية ان يخرب الاستحكامات ويكب المدافع اذا اطلقت عليه النار . وأخبرت الحكومة الفرنسية بذلك وطلب منها ان تشارك انكلترا . وأخبرت سائر الدول ايضا . فقال الميوده فرمينيه لسفير انكلترا ان الحكومة الفرنسية لا يمكنها ان تأمر اسطولها ليشرك الاسطول الانكليزي لان ذلك يعد بمثابة فتح حرب على مصر والحكومة الفرنسية لا تستطيع ان تفتح حربا من غير مصادقة مجلس النواب

وفي ٦ يوليو ارسل لورد الستراي فرستدان الحامية في الاسكندرية يطلب منه ان ينقطع عن انشاء الاستحكامات فاجاب انه لم يعم شيتا جديداً وصادق درويش باشا على ذلك . وأعيد تحصين الطوابي في ٩ يوليو فبعث لورد الستراي قناصل الدول الذين سلكوا الاسكندرية يطلبهم انه عازم على اطلاق المدافع على الحصون ما لم تسل له الطوابي المشرفة على البوغاز في اربع وعشرين ساعة وأعلنت دول اوروبا بذلك . فاجاب السلطان انه يرسل الجواب الى لورد دنرن في ١١ يوليو الساعة الخامسة وعين صدراً جديداً نزار لورد دنرن وقال له انه يأتيه بالجواب النهائي لحل المسألة المصرية في ١٢ يوليو

وعني عن البيان ان اصحاب الديون المصرية من الفرنسيين والانكليز كيت روتشيلد وغيره كان لم في القطر المصري نحو مائة مليون جنيه ديناً على الحكومة المصرية . وهدم ان اكبر ضامن لهذا الدين ان تحتل انكلترا القطر المصري وتراقب شؤنه المالية والاقتصاد كلها في خطر من الضياع فلا يستغرب منهم ان يذلوا كل الوسائل في اوروبا لحل انكلترا على احتلال القطر المصري وان يذلوا ايضا كل الوسائل في الاساتة لجل رجال الدولة يفضون الطرف ويسوفون البحث الى ان يتقضي الامر على ما يريد اصحاب الدين . هذا هو

الحق المنقول بكل ما حدث وقد صرح لورد كرومر ببعضه واقام الادلة عليه من انحراف
الرسامة كما تقدم وكما سيجي

ومن يوم ابتداء اسميل باشا يستدين الاموال الطائلة من اوربا وضع اساس المراقبة
الاوروبية او الاحتلال الانكليزي نعم ان المراقبة والاحتلال ليسا فرضاً واجباً على كل بلاد
تستدين الاموال من غيرها ونكتهما يعيران واجيبين اذا صامت احوال البلاد وخاف
الدائنون على اموالهم فلما اكتفت مصر باستدانة الاموال اللازمة لتثخير خيراتها الطبيعية وعرفت
كيف تحسن ادارتها حتى توفى تلك الاموال او اقساطها في مواعيدها لما كان ثمت موجب
للاحتلال ولا للمراقبة. والآن اذا استمر النظام وحسن الادارة وأمن الرجوع الى الفوضى
الماضية او الى خلل الاحكام لا يبقى داع للاحتلال ولا للمراقبة. ولكن يخشى من ان
الغرور والطيش يحملان بعض المتصددين لتزعامة حتى ينزروا بالبلاد فيعيدوا اليها الخلال
الذي نجت منه. وحينئذ يترطد اقدام الاحتلال الى ما شاء الله. ويخشى ايضاً من ان
بعض الاتانين او المستأجرين بالاموال الاوروبية يزيقون الحال للذين يفترون بانوالهم
فيصخبون ويقلقون راحة السكان ويحملونهم على اعمال تخيف اصحاب الديون او تجعلهم
يتذرعون بها الى اجبار حكوماتهم على ادامة الاحتلال لانهم لا يتظفرون ضماناً لاموالهم
اقوى منه. ولقد رأينا من حين نظرنا في المسألة المصرية انها مسألة مالية المال ولدها والمال
دعا الى تعيدها وادامتها فجاءت اقوال لورد كرومر مؤيدة لذلك وقوله فصل الخطاب
في هذا الباب فلي الذين يودون ان تجلي انكثرا عن القطر المصري ان يذلوا جهدهم في
توطيد دعائم الامن في البلاد اولاً حتى يأمن اصحاب الديون على ديونهم

هذا وقد ذكر لورد السمر في تقريره انه شرع في ضرب طوابي الاسكندرية في الحادي
عشر من شهر يوليو الساعة السابعة صباحاً ولم تات الساعة ١٠ ونصف بعد الظهر حتى اسكت
البطريات كلها وفي اليوم التالي خرجت الحامية المصرية من الاسكندرية بعد ان احرقتها
واقبل الرعاع على نهبا وقتل جمهور من الاوربيين. ولام لورد كرومر حكومته لانها لم تبادر
الى انزال الجنود الى الاسكندرية لمنع امتداد النار فيها ومنع الرعاع من نهبها. ولكنه
يرثها في ضربها بدعوى ان تقع الثورة الدراية كان امراً واجباً ولما اجمعت عنه تركيا
وفرنسا صارت انكثرا مطالبة به وحدها